يتساءلون ذكرهما أبو البقاء، ويجوز أن يكون ظرفاً ليتساءلون وهو
أظهر من الحالية من فاعله، ويتساءلون يجوز أن يكون على بابه أي
يسأل بعضهم بعضاً، وأن يكون بمعنى يسألون أي يسألون غيرهم
نحو دعوته وتداعيته. قوله: عن المجرمين فيه وجهان: الأول
أن يكون كله على صلة زائدة، والتقدير يتساءلون المجرمين فيقولون
لهم ما سلككم في سقر، فإنه يقال سألته كذا وسألته عن كذا. الثاني
أن يكون المعنى أن أصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين
فإن قيل فعلى هذا يجب أن يكون يقولوا ما سلككم في سقر، فأجاب
الزمخشري فقال المراد من هذا أن المشركين يلقون ما جرى بينهم وبين
المؤمنين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر. وفيه وجه آخر وهو
أن المراد أن أصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين أين هم فلما رأوهم
قالوا لهم ما سلككم في سقر، والإضمارات كثيرة في القرآن. قوله: ما سلككم
يجوز أن يكون على إضمار القول، وذلك القول في موضع الحال أي يتساءلون
عنهم قائلين لهم ما سلككم، وهو سؤال المجرمين. قوله يتساءلون عن المجرمين
وهو سؤال عنهم، وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما
سلككم. قلت قوله تعالى ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما
حكاية قول المشركين عنهم لأن المشركين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم
وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر أي أدخلكم في سقر، كما
تقول سلكت الخيط في كذا إذا أدخلته فيه، والمقصود من هذا زيادة
التوبيخ والتخجيل. والمعنى ما أدخلكم في هذه الدركة من النار فأجابوا
أن العذاب لأمور أربعة ثم ذكروها وهي قولهم لم نك من المصلين.
قال الكلبي رحمه الله يسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه
فيقول له يا فلان، وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلككم في سقر
وهي قراءة على التفسير لا أنها قرآن كما زعم من طعن في القرآن. قاله ابن الأنباري.
وقيل إن المؤمنين يسألون الملائكة عن أقربائهم فتسأل الملائكة المشركين
فيقال لهم ما سلككم في سقر. قال الفراء: هذا ما يقوي أن أصحاب اليمين
هم الولدان لأنهم لا يعرفون الذنوب. قوله: لم نك من المصلين
هذا هو الدال على فاعل سلكنا، كذا الواقع جواباً لقول المؤمنين لهم ما سلككم
وقد تقدم في البقرة. فصل: قال القرطبي معنى قولهم لم نك من المصلين
يعني أهل النار أي المؤمنين الذين يصلون، ولم نك نطعم المسكين أي لم
نك نتصدق. قال ابن الخطيب: وهذا يجب أن يكونا محمولين على الصلاة
الواجبة والزكاة لأن ما ليس بواجب لا يجوز أن يعذبوا على تركه. وكنا نخوض
مع الخائضين أي في الأباطيل. وقال ابن زيد: نخوض مع الخائضين في أمر محمد
صلى الله عليه وسلم، وهو قولهم لعنهم الله إنه كاهن مجنون شاعر ساحر
كذبوا والله لم يك فيه شيء من ذلك صلى الله عليه وسلم. وقال قتادة:
كلما غوى غاوٍ غوينا معه. وقيل معناه وكنا أتباعاً ولم نك متبوعين.
وقولهم وكنا نكذب بيوم الدين أي نكذب بيوم القيامة يوم الجزاء والحكم
حتى أتانا اليقين أي جاءنا الموت، قال الله تعالى حتى يأتيك اليقين.
وهذه الآية تدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة. فإن قيل لم
أخر التكذيب وهو أفحش تلك الخصال الأربع؟ فالجواب أريد أنهم بعد
اتصافهم بتلك الأمور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين، والغرض تعظيم
هذا الذنب لقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا. قوله: فما تنفعهم شفاعة
الشافعين كقوله: على لاحب لا يهتدى بمناره ... في أحد وجهيها

لهم

لهم خلا انتفاع بها، وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة، كقوله تعالى
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. وهذه الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين
من هذه الأمة بمفهومها، لأن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين
يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين. وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه: يشفع نبيكم رابع أربعة: جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى
أو عيسى، ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم
الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين إلى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين. قال
عبد الله بن مسعود: فهؤلاء الذين في جهنم. قوله: فما لهم عن التذكرة
معرضين أي فما لأهل مكة قد أعرضوا وولوا. قال مقاتل: معرضين عن القرآن
من وجهين: أحدهما الجحود والإنكار، والثاني ترك العمل بما فيه. وقيل المراد
بالتذكرة العظة بالقرآن وغيره من المواعظ. ومعرضين حال من الضمير في
الجار الواقع خبراً عن ما الاستفهامية، وقد تقدم أن مثل هذه الحال تسمى
حالاً لازمة، وتقدم بحث حسن. وعن التذكرة متعلق به. قال القرطبي:
وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل. قال ابن الخطيب: هو
كقولك ما لك قائماً. قوله: كأنهم حمر، هذه الجملة يجوز أن تكون حالاً
من الضمير في الجار، وتكون بدلاً من معرضين. قاله أبو البقاء، يعني أنها كالمشتملة
عليها، وأن تكون حالاً من الضمير في معرضين فتكون حالاً متداخلة. وقرأ العامة
حمر بضم الميم، والأعمش بإسكانها. وقرأ نافع وابن عامر مستنفَرة بفتح الفاء
على أنه اسم مفعول أي ينفرها القناص، والباقون بالكسر بمعنى نافرة،
يقال استنفر ونفر بمعنى، مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر.
قال الشاعر:

امسك حمارك إنه مستنفر ... في إثر أحمرة عمدن لغرب

وقال الزمخشري: وكأنها تطلب النفار من نفوسها في جمعها له وحملها عليه
فأتى بالسين على بابها من الطلب، وهو معنى حسن. قال أبو علي الفارسي:
الكسر في مستنفرة أولى لقوله فرت للتناسب لأنه يدل على أنها استنفرت.
ويدل على صحة ذلك ما روى محمد بن سلام قال سألت أبا سوار الغنوي
وكان عربياً فصيحاً فقلت كأنهم حمر ماذا؟ فقال مستنفرة طردها قسورة
فقلت إنما هو فرت من قسورة فقال أفرت؟ قلت نعم، قال فمستنفرة
إذن، انتهى. يعني أن الفاعل قولها طرد تناسب الفتح لأنها اسم مفعول
فلما أخبر بأن التلاوة فرت من قسورة رجع إلى الكسر للتناسب، إلا أن بمثل
هذه الحكاية لا ترد القراءة المتواترة. والقسورة قيل الصائد يريد أن يفرق
وهربت من قسورة أي من الصائد. وقيل الرماة أي رماة يرمونها، فقيل هو
اسم جمع لا واحد له. قال بعض أهل اللغة: إن القسورة الرامي وجمعه القسورة
وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن
كيسان: القسورة هم الرماة والصيادون. ورواه عطاء عن ابن عباس وأبو
ظبيان عن أبي موسى الأشعري. وأنشدوا للبيد بن ربيعة:

إذا ما هتفنا هتفة في ندينا ... أتانا الرجال العائدون القساورة

وقيل القسورة الأسد، قاله أبو هريرة وابن عباس أيضاً رضي الله عنه. قال
ابن عرفة: من القسر بمعنى القهر أي أنه يقهر السباع، والحمر الوحشية تهرب من السباع.
ومنه قول الشاعر:

مضمر تحذره الأبطال ... كأنه القسورة الرهال

أي الأسد، إلا أن ابن عباس أنكره وقال لا أعرف القسورة في لغة أحد